النبوغ وسر النجاح في الحياة

السيد عادل العلوي

كيف تكون عاملا وصانعاً ناجحاً في عملك ؟

سرّ النجاح في الحياة

النبوغ وسر النجاح في الحياة [1]

السيد عادل العلوي

ما هو النبوغ [2] ومن هو النابغة ؟

في كلّ عصر ومصر ، ومنذ الصدر الأوّل للتأريخ البشري ، يظهر على صفحة الوجود شخصيّة بارعة يشار إليها بالبنان ، ويفوق أقرانه وأترابه ، ويُخلّد في تأريخ العلم والأدب والفنّ والصناعة ، بعد ما كان في بداية حياته مغموراً مطموراً لا يعرف عنه شيء ، فيتلألأ كوكبه في سماء الحضارة والتمدّن ، ويصل إلى قمّة الشهرة والخلود ، فيترجم حياته ، ومن بين السطور يشعّ هذا الوسام بأ نّه (نابغة).

ويُسئل حينئذ ما هو النبوغ ؟

وقد بحث العلماء في الشرق والغرب ذلك ، واختلفوا في تعريفه وبيان حدّه ، بعدما وضع النبوغ والنابغة على طاولة التشريح ، وسلّط عليهما أضواء التحقيق. والتعاريف لم يكن من الحدّ التامّ المنطقي المطرد المنعكس الجامع للأفراد والمانع من الأغيار ، وذلك بالجنس القريب والفصل القريب ، بل هي من باب شرح الاسم ، والإشارة إلى ما هو مركوز في النفس من قبل ، والمتكفّل لبيانها معاجم اللغة ، فتدبّر.

فمن علماء الغرب قال (استفن تسوابك) : النبوغ : شعلة في وجود النابغة تحرق أعماق وجوده.

وقال (كارلايل) : النبوغ : قبل كلّ شيء تحمّل المشاقّ والصعاب في الحياة على نحو خارق للعادة.

وقال (أديسون) : النبوغ : واحد بالمائة إلهام ، وتسعة وتسعين بالمائة عرق الجبين.

وعند بعض : النبوغ : استعداد عجيب لتمركز الحواسّ في موضوع وهدف واحد.

و (زان بول) يقول : التفكّر والتعقّل جوهر النبوغ ، فالنابغة من يفكّر في الموضوعات العلميّة والفنيّة.

وعند (هلوسيوس) : النبوغ : نتيجة الدقّة الممتدّة.

ويعتقد (مايتو آونولد) إنّ النبوغ : يتعلّق بالقوّة الخارقة للعادة.

و (بوفون) يقول : لم يكن النبوغ سوى الصبر العجيب.

و (راسكن) يرى النبوغ : نفوذ في جذور وأعماق الأشياء.

و (ميل) يذهب إلى أنّ النبوغ : موهبة إدراك الحقائق أعمق ممّـــا يراه الآخرون.

و (كلريج) يراه : الاستعداد في الرشد والتكامل.

و (جان فاستر) : القدرة على اشتعال النفس.

و (فلورانس) : الرشد والتكامل في القوى العاقلة الإنسانيّة بحظّ وافر ، وعند بعض ; قدرة إدراك الشيء الذي يكون أساس في كلّ شيء ، وقبل أن يخلق النابغة المجتمع ، لا بدّ للمجتمع من أن يخلق النابغة ، وكلاهما مؤثّران في تمدّن البشر.

وعند بعض : النبوغ : جلوة القوّة العصيبة ، والمحيط هو المؤثّر الأوّل في إيجاد النوابغ.

وبعض يرى النبوغ : تجليّات الغرائز المكنونة في بواطن النابغة ، وقيل : الفرق بين النابغة والشخص العادي هو حدّة النظر ، فالنابغة يتأثّر بالحوادث والوقائع ، ولا زال الشخص العادي في رؤياه وغفلته.

والدكتور (آدلر) يرى النبوغ نتيجة وجود نقص في التركيب الجسماني ، ويثبت أنّ من به نقص فإنّه يحاول رفعه بتشغيل قوى الدماغ بحدّ وافر في العلم أو الفنّ ، فهذه (كهلن كلر) العمياء الصمّاء الخرساء نبغت في عصرها ، وهذا (بتهوفن) نبغ في الموسيقى وهو أصمّ ، وما أكثر العلماء والفنّانين الذين نبغوا مع ما عندهم من نقص في التركيب.

ولم يكن النبوغ وراثياً ، ولكن للوراثة تأثير في تحقّقها وتبلورها ، كما نشاهد ذلك في اُسر وعوائل نبغوا في العلوم والفنون ، وربما ينضج ويطبخ النبوغ قبل أوانه ، كما نرى ذلك في كثير من نوابغ العالم كالشيخ الرئيس ابن سينا.

وكثيراً ما يبتلى النوابغ بالأمراض العصبيّة كالصرع ، كما يظهر النبوغ في الرجال أكثر من النساء ، وفيهم الخبط الدماغي أكثر.

و (باسكال) يصرّ على أنّ النبوغ مثل الجنون ، وأنّ النابغة أقرب الناس إلى الأمراض الروحيّة ، وإصابتهم بالماليخوليا الجنونيّة.

والنوابغ منذ الصغر ينجذبون إلى مكنونات بواطنهم من النبوغ ، وربما يتأخّر النبوغ بعد أوانه مثل ما نجد ذلك في (بلزاك) و (كولد سميث) ، ويعتقد البعض أنّ سبب ذلك عدم اعتناء المربّين ، أو من تأثير المحيط الفاسد ، أو الفقر المقيت المدقع.

ويقال إنّ للنابغة دماغين : دماغ في خدمة نفسه ، ودماغ في خدمة نبوغه ، وربما يمنع الأوّل الثاني أو بالعكس ، وإنّما يتولّد النبوغ من البواطن وبعوامل خارجيّة ، ويعيش النوابغ حالة الانعزال عن الناس ، وكثيراً ما لا يعرف قدرهم في حياتهم ، ولكن عدم اعتناء الآخرين لم يزلزل ويثبط عزمهم ، بل دائماً هم في بوتقة العمل ، وبكلّ شوق وإخلاص ، فإنّهم يعيشون للأجيال القادمة لا لمعاصريهم ، ولم ينحصر ذلك في قوم أو شعب ووطن خاصّ ، بل هو للعالم أجمع ، ويسمع نداءهم جيلا بعد جيل ، ولم يدرك المعاصرون نوابغهم.

ويختلف النابغة في حياته العلمية والعملية عن الناس ، فإنّ الناس يفكّرون بالمقام والمال واللذائذ الشهوانيّة ، ولكن النابغة يستغلّ الفرص وساعات الفراغ من أجل نبوغه ونشاطه العلمي أو الفنّي أو الصناعي ، يتعمّق في الفكر وإن لم يكن فيه المنافع المادّية بخلاف الآخرين ، فنوره من نفسه ، ومنار الآخرين منه ، فهو كالظاهر بنفسه والمظهر لغيره.

وأمّا الفرق بين العالم والنابغة : فإنّ العالم يُتعلّم منه ما تعلّم واكتسب ، والنابغة إنّما يكسب منه ما ترشّح من فيض وجوده ، ولم يتعلّمه من الآخرين.

والعالم كرامي السهم فإنّه يعلّم الهدف والرمي ، فيكرم عند الناس ، والنابغة أهدافه غير جليّة فهي في خبايا وجوده ، فلا يعرف قيمته ، ولا يجلّل ويحترم من قبل الناس إلاّ بعد ظهور رميته وأهدافه.

ويختلف النابغة مع الناس في كلّ شيء حتّى الأخلاقيّات ، ويبقى عمله جديداً وطريّاً متى ما كان وأينما كان.

والمطالعة المستمرّة للنوابغ موادّ أوّليّة لمكنوناتهم الباطنيّة وبنائهم الفكري ، ومجمل القول : أنّ النابغة عمله كنحلة العسل ، وباقي الناس كالنمل ، فهو يصنع وينتج بعد ما يجمع ، وهم يحافظون على ما يجمعون. فالنابغة يقدّم الشيء الجديد ، وباقي الناس يقدّمون ما كان قديماً ، فهو ذو بصيرة نافذة وحدّة نظر ، يرى ما لا يراه غيره ، فيكشف الستار عن المجهولات في لوحته الغنيّة ، وشعره الموزون وكتابه القيّم ، وغير ذلك.

وإنّ إدراك العلوم والفنون يفتقر إلى بصيرة وقّادة يفقدها العوامّ ، والنابغة يدرك بعد ما ينسى نفسه ويدخل في عالم المثل والصور ، فعنده قدرة العقل والتفكّر أقوى وأعظم من قدرة النفس ، والناس عقولهم في خدمة نفوسهم وملذّاتهم ، والنابغة كلّ شيء في خدمة عقله ، ويضحّي بكلّ شيء من أجل عقله ، ولا يرى منافعه الشخصيّة ، ويعيش في العالم الأكبر المتبلور في وجوده ، النوابغ خلصت آثارهم من الماديّات فتلقاهم في عالم الوجود والانجذاب ولو في لحظات ، فهو كالشجرة اليانعة الخضراء تسرّ الناظرين ، وتنبسط النفوس في عالم الوجد والانجذاب ولو في لحظات ، وتنبسط النفوس بجوارها وفي دوحتها وظلّها.

الناس يعيشون من أجل أهدافهم الشخصيّة ، ولهم أغراض في منافعهم وأعمالهم ، والنوابغ لما عندهم من العقل الكبير والفكر العملاق كأ نّهم في حياتهم المعاشيّة بلا غرض ، ويصابون بالعجز في إدارة أنفسهم حتّى في أعمالهم الفرديّة والشخصيّة ، وقد يصدر منهم ما يضحك الآخرون حتّى ينسب إليهم الجنون ، إذ هم في كشف أسرار الكون ، وينسون أنفسهم ، وينكرون الذات ، وعندهم العلم والفنّ الهدف ، وباقي الناس كلّهم يعتبرونها وسيلة لتحصيل الثروة والمقام والملاذ ، فالنوابغ عشّاق الفكر والعلم والتجربة والوصول إلى أسرار الخليقة والمعاني ، وربما يصل إلى مرحلة العجز في حياته الطبيعية ، ونجدهم قد حلّقوا في أجواء العلم وآفاق الأدب وسماء الفنّ ، ويستلذّون بذلك غاية اللذّة ، ولا ينتظر مدح الآخرين وإطرائهم وثنائهم.

النابغة كالطفل يعيش في الوداعة والبساطة وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها ، إذ تغلب على نفسه قوّة العقل ، وينمو عنده الجهاز العصبي أكثر من غيره ، ويعيش في عزلة ، وربما يصاب بالجنون ، وقد قال أرسطو المعلّم الأوّل : من نبغ في الفلسفة والسياسة والشعر والفنّ فإنّ له طبع ماليخوليائي ، ومن يراجع مستشفى المجانين يجد كثيراً منهم لديهم نوعاً من النبوغ ، وكثير منهم يصابون بعقدة الانتحار.

النبوغ تربية القوّة الدرّاكة فوق الإرادة ، والنابغة يفكّر دائماً بما هو الأساس والخالد في الكون ، وغيره يفكّر بأُمور آنية سريعة الزوال ، فهو ابن الوقت ، والنابغة ابن الزمن ، ولذّة النابغة من نبوغه ، وتجبر عزلته وتنسي همّه وغمّه ، فالناس سكون بلا حركة ، إرتجاع وتقليد من غير حجّة ، والنوابغ في حركة متواصلة من الاكتشافات والاختراعات والإبداعات ، وتزيد عندهم الإرادة والتصميم والعزم والعمل الدؤوب مع نفوذ البصيرة.

فسقوط التفّاحة من الشجرة عند الناس لا تحكي عن شيء ، وعند النابغة ، تحكي عن جاذبيّة الأرض ، وينظر إلى الكونيّات معتبراً متعلّماً ، وينتفع ما ينتفع غيره ، فالقصّاب ينظر إلى جسد الشاة ينتفع منها المنافع الماديّة ، والنابغة ينظر إليها ليكشف أسرارها ، ويغفل عن نفسه في خضمّ تجاربه ، كما له قوّة التمركز على موضوع واحد ساعات وأيام وشهور وسنين ، وهو جديد في كلّ جديد ، ويطير في سماء التفكير حتّى يصل القمّة ، ولا قمّة في الأفكار ، وهذا الحبّ الدفين يدفعه بكلّ جدّ وإخلاص إلى الاكتشافات والاختراعات والتصنيف ، وينظر إلى العالم بإعجاب ودقّة ، فهو كالشمس نوره من نفسه ، وباقي الناس كالقمر نورهم من غيرهم.

النابغة ينبوع الحياة ، ويتفجّر منه ما فيه الحياة والتطوّر ، ويطوي المسير الكوني والتأريخ البشري قبل غيره بقرون وسنين ، فهو وإن عاش منعزلا عن المجتمع ، ولكن يعيش في خضمّ الكون وأسراره وحقائقه المستورة ، فهو قوي الإحساس ومرهف الشعور ، ويعيش في حزن وكآبة ويتمنّى خلاص روحه من جسده الضيّق.

وقيل : أكثر النوابغ من قصيري القامة ، كأرسطو وبانكور وأرخميدس وآتيلا وبتهوفن ونابليون وغيرهم ، والغالب على النابغة أ نّه نحيف الجسم يتألّم من محيط المدرسة في بداية عمره ، كآينشتاين وروسو وديكارت وفرويد وكالريج ، حتّى بعضهم ترك المدرسة كبرناردشو وهتلر وأديسون ، وحتّى برناردشو عندما كتب عن حياته رسم مدرسته خلف قضبان الحديد كناية عن السجن ، وقال : قضيت أفضل عمري في هذا السجن ، والغالب على أولاد النوابغ البلاهة ، فأرسطو له خمسة أولاد اشتهروا بالبلاهة ، وابن سيسرون كان دائم الخمر ، وابن والتركان يفتخر أ نّه لم يقرأ مزخرفات أبيه ، وعندما سألوا ابن موزارت أتحبّ الموسيقى ؟ ألقى مجموعة من النقود على الطاولة وقال : الموسيقى الوحيدة المفضّلة عندي هذه النقود ، وحتّى بعض أقارب النوابغ ابتلوا بالحماقة والجنون كصبية فيكتور هيغو.

وكثيراً ما يورث النبوغ من الأُمّهات ، كسيسرون وكندرسه وبوفون كونة ونابليون

وشوبنهاور ولامارتين وكنت والشيخ الرئيس ، وبعض من الآباء كشيللر وميلتون وبيكون وثاسو.

ويندر نبوغ النساء ، إذ شرط النبوغ الابتكار ، وشرط الابتكار الشجاعة والتهوّر ، والنساء يفقدون ذلك في الغالب ، وشوبنهاور يعتقد أنّ المرأة ذاتاً تفقد النبوغ.

والغالب على النوابغ التضحية والفداء من أجل الشعوب والأوطان وإصلاح المجتمعات. وهم غالباً في سفر ورحلات كثاسوا الشاعر والناو وادكار الن بو وروسو ، ويشتغلون بأشغال مختلفة ومهن عديدة ، كسويفت وروسو وكاردان وليوناردو دافنشي احترفوا الهندسة والتحقيق والرسم والعلم ، وابن سينا طبيب وفيلسوف وسياسي ، وأبو ريحان فيلسوف وأديب وطبيب ، ويغلب عليهم الحزن والغمّ ، حتّى أنّ (فلوبر) يكتب : إنّي لم أُخلق للفرح ، وشوبان حسّاس إلى درجة تبكيه الوردة الذابلة والذبابة الميّتة ، وكثيراً ما يبتلى النوابغ بالانتحار ويفكّرون بذلك.

هذا خلاصة ما يقال في النبوغ والنوابغ وخصائصهم ، وإنّهم في الأعصار والأمصار يعدّون بالأصابع ، والمطلوب منّا أن نكشف سرّ النجاح ورموز الموفّقيّة في الحياة لجميع الناس على حدّ سواء.

فما هي عوامل النجاح في الحياة ؟

---

١ ــ رسالة طبعت في مجلّة الذكر الصادرة بقم المقدّسة ، العدد ١٦ ، السنة الثانية ١٤١٥ هـ.

٢ ــ النبوغ لغةً : من نبغ بمعنى خرج وظهر ، ونبغ الرجل نبغاً لم يكن في إرثه الشعر ثمّ قال وأجاد ومنه سمّي النوابغ من الشعراء نحو الجعدي والذبياني وغيرهما ، ونبغ فيهم النفاق إذا ظهر بعدما كانوا يخفونه منه. (لسان العرب ١١ / ٢٤) و (لغت نامه دهخدا ٤٣ / ٣١٩).

ويقال : نبغ في العلم وفي كلّ صناعة إذا أجاد ، ونبغ في الدنيا اتسع ، والنبوغ بمعنى الجديد تفوّق المرء في العلم والأدب والفنّ ، وبمعنى الذكاء المفرط والاستعدادات العجيبة ، والنابغة الرجل العظيم الشأن (دائرة معارف وجدي ١٠ : ٣٠).

سرّ النجاح في الحياة

كلّ واحد من الناس يحاول منذ نعومة أظفاره في جميع حقول حياته ، أن يكون ناجحاً في أعماله ، موفّقاً في أفعاله ، متفوّقاً على أقرانه ، متميّزاً بين أصحابه ، سعيداً في حياته ، رغيداً في عيشه ، فمنذ الصغر يفكّر الإنسان كيف ينجح في عمله وحياته الفردية والاجتماعية ، فيبذل ما في جهده وطاقته ليحوز على النجاح الباهر ، وربما يخسر المعركة وربما يفوز ، فهو دائماً بين اليأس والأمل ، وربما يبتلى بالقلق والاضطراب ، وأخيراً : الخيبة والرسوب ، وربّما يُقدم على الانتحار لضعف همّته ، ولكن النجاح الأكيد يكمن في عوامل لو التزم بها الإنسان ، وجعلها نصب عينيه ، لنجح في حياته ، ولنال ورقة النجاح وضمن ذلك منذ البداية ، وأهمّ عوامل النجاح في حياتك ، كما في علم النفس ، فهو كما يلي :

أوّلا : أن تعرف ذوقك واستعدادك الذي أودعه الله في جبلتك وباطنك ، ولا بدّ لك أن تكشف ذلك مهما كلّف الأمر ، فلو ملكت قوّة الرسم ووجدت في نفسك أ نّه يمكنك أن تكون رسّاماً قديراً ، وعندك موهبة (فنّ الرسم) واستعداده ، فحينئذ لا تتعب نفسك في الدخول في سلك الأُدباء والشعراء ، لو لم تملك القريحة الشعرية ، فإنّه ضياع للجهود ، ولن تنال السبق في وادي الشعر. وإذا كنت تملك في نفسك حرفة صناعية ، أو وجدت ذلك في ولدك أو تلميذك ، فلا تتعب النفس حينئذ بتعليمها الفلسفة والمفاهيم العقلية الثقيلة ، فإنّك وإن تعلّمتها ، إلاّ أ نّك لا تفوق الآخرين ولا تنال النجاح الباهر ، فإنّك خلقت لشيء آخر ، كما نقف على هذا المعنى دليلا وشاهداً وشهوداً من خلال مطالعة حياة عظماء العالم ، وعباقرة الناس ، ونوابغ العلوم والفنون.

ثانياً : العمل الكثير الدؤوب والمستمرّ ، فليس للإنسان إلاّ ما سعى ، وبقاء ناموس الحياة على قانون الجهد والعمل ، فما أروع مقولة (الكسندر هاميلتين) نابغة عصره حينما قال : « يقولون إنّك نابغة ، ولكن لا أعلم من نبوغي شيئاً ، إنّما أنا رجلٌ أعمل ».

وعظماء الدنيا على الإطلاق إنّما حازوا السبق ، وتربّعوا على عرش النجاح بعملهم وجهدهم المتواصل إلى آخر لحظة من حياتهم ، فهذا أبو ريحان البيروني يتعلّم مسألة فقهيّة في آخر لحظة ، ويقول : أموت عالماً بهذه المسألة أفضل من أن أموت جاهلا بها ، وإليك ابن سينا وابن رشد ، وهذا أديسون ، وذاك باستور ، ومئات من الشخصيّات الاجتماعية الفذّة في الشرق والغرب ، كانوا أهل عمل وتفكير وتخطيط في الحياة ، حتّى في السجون والظروف الصعبة والحرجة ، فالسعادة والنجاح تطرق باب الساعي المجدّ والمجتهد ، وعلى المرء أن يسعى فإنّ اليوم يوم عمل وغداً الحساب.

ثالثاً : الإيمان بالهدف ، فإنّه المحرّك الباطني الذي يدفع الإنسان نحو التقدّم والازدهار ، والمؤمن بالهدف يسهل عليه تحمّل المصاعب والمشاكل في مسيره ، ولا تعيقه العوائق ، ولا يخاف من قول حذار ، ولا يبالي بما قيل ويقال من الافتراء والكذب والتهمة ، فإنّه يعتقد بسير

عربته وأ نّه في الشارع المستقيم والطريق القويم ، فلا يهمّه نباح الكلاب كما جاء في المثل : « عربته تسير والكلاب تنبح » ويفدي النفس والنفيس من أجل الوصول إلى المراد والمقصود ، وحتّى نهاية المطاف والهدف ، وربما تكون الأهداف مقطعيّة لا بدّ أن يطويها حتّى يصل إلى قمّة أهدافه في الحياة ، ولكلّ امرء ما نوى ، وقُل : كلّ يعمل على شاكلته.

رابعاً : الصبر والاستقامة ، فإنّ ذلك من أهمّ عوامل النجاح ، وهو رمز الموفّقية في العمل ، وإنّ الصبر أساس الأخلاق الحميدة ، وإنّ التوفيق في الحياة والنجاح في العمل ، منه قريب ومنه بعيد وطويل المدى ، فلا بدّ من المقاومة والصبر ، كما أنّ النبوغ على قسمين : سريع وبطيء ، فكذلك التوفيق والنجاح بعيد وقريب ، فإنّ السكّاكي معلّم البلاغة صاحب كتاب مفاتيح العلوم ، لولا استقامته وصبره في طلب العلم لما فاق أقرانه وشاع صيته ، فالاستقامة عنصر مهمّ لمن طلب النجاح سيّما من كان في مقام إصلاح المجتمع وقيادته ، فقد قال الله تعالى لنبيّه الأكرم في القرآن الكريم :

(اسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ) [1].

خامساً : التمركز الفكري ، فإنّ قطرات المطر لو انضمّت بعضها مع بعض ، وجمعت في مكان ، لجرى الماء وأصبحت نهراً ، ثمّ شطّاً ، ثمّ بحراً ، وإلاّ فإنّ الأرض تبتلع القطرات المتناثرة.

كذلك الأفعال الفكريّة والأعمال البدنيّة ، فإنّ التمركز الفكري يفتح آفاقاً جديدة للإنسان في ميادين العمل ، ويحلّ المشاكل ، ويزيل العوائق في طريق الموفّقية.

فالدقّة من أهمّ العوامل في حياة المخترعين والمكتشفين ، وإنّ الاختلال الفكري ممّـا يحطّم المرء في حياته ، وقد سئل نيوتن المكتشف الكبير : كيف وصلت إلى تلك الاكتشافات الجمّة ؟ فأجاب : بالتأمّل المستمرّ.

سادساً : النظم والانضباط في الحياة ، فإنّ العالم الناسوتي بل الوجود كلّه يتأطّر بإطار النظم ، فالنظام هو الحاكم على الكون ، فمن المجرّات السماويّة وإلى الكواكب السيّارة ، وحتّى الذرّات الصغيرة ، مسوّرة بالنظم ، ونظام العالم أعظم معلّم ومربّي لحياتنا اليومية. وعن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في آخر وصيّته لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) : أُوصيكما بتقوى الله ونظم أمركما [2]. ومن علامة النظم تقسيم أعمالنا (لساعاتنا) اليوميّة ، فإنّ العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها ، فنظّم أمرك وحياتك لتنجح وتسعد ، فإنّ الوقت من ذهب ، وإضاعة الفرصة غُصّة ، وقد فاز باللذات من كان منظّماً في حياته وعيشه.

سابعاً : الشروع في العمل من الصفر ، فإنّ أوّل الغيث قطرة ، وأوّل مسيرة ألف ميل خطوة ، فإنّ العمل الناجح والعامل الناجح : من يبدأ من الصفر ومن الشيء الضئيل ، فالنجاح حليف من كان له همم شامخة ، فإنّ همم الرجال تزيل الجبال ، ونجح من خطّط في حياته ، يبدأ بالمسير الطويل بخطوة ، وهي من أصعب الخطوات ، فإذا رفع القدم الأوّل ، فإنّ القدم الثاني يكون خلفه

بسهولة ، فيشرع من مكان صغير ، وعمل ضئيل ، ثمّ يواصل حتّى النهاية ، راجع سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وطالع حياة العظام لتقف على ما أقول.

ثامناً : عدم التقليد الأعمى والأصمّ ، فمن قلّد الآخرين من دون وعي وعلم ، فإنّه لن ينال النجاح المطلوب ، فعليك أن تكون ذا فكر وقّاد ، وعمل مستقلّ ، ولا تميل مع كلّ ريح ، ولا يحقّ ان ينعق الإنسان مع كلّ ناعق ، بل عليك بكسب المعرفة والعلم ، ثمّ العمل بإيمان وصبر وحكمة وتمركز فكري ، ونظم ، والشروع من النقطة ومن الصفر ، وإيّاك والتقليد المحض ، وكن خلاّقاً في حياتك ، واسلك الطريق الجديد الذي لم يفتح ، كما فعل كبارنا ذلك ، فإنّهم فكّروا أحراراً ، وعاشوا أحراراً ، وماتوا أحراراً.

وقد خلقك الله حرّاً فلا تكن عبد غيرك ، فإنّه لا يستحقّ الخضوع والخشوع والعبوديّة إلاّ الله سبحانه وتعالى :

(قولوا لا إلــهَ إلاّ الله تُفْلِحوا).

ومن الله التوفيق والسداد ، أي منك الحركة ومن الله البركة ، فاستعن بالله عزّ وجلّ ، وقم وطبّق هذه العوامل الأساسيّة لتكون ناجحاً في حياتك العلميّة والعمليّة ، فاستقم كما أُمرت.

---

١ ــ هود : ١١٢.

٢ ــ نهج البلاغة.

كيف تكون عاملا وصانعاً [1] ناجحاً في عملك ؟

إنّ الله يحبّ الشابّ الذي يعمل ، ويكره من كان فارغاً لا شغل له ، فإنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لمّـــا رأى شابّاً وأعجبه فسأل عن عمله فقالوا : لا شغل له. فقال : « سقط من عيني » ، وهذا يعني أنّ رسول الاسلام يحثّ المسلمين على العمل ، ولا بدّ من شغل شاغل ، فلا كسل ولا ضجر ، فإنّهما يضيّعان الحقّ ، فمن الإنسان الحركة ومن الله البركة ، وهذا أصل أصيل يقرّ به العقل النبي الباطني ، كما يحثّ عليه الدليل النقلي أي الرسول الظاهري ، فالحُجّتان الظاهرية والباطنية متعاضدتان ومتّفقتان على أنّ الإنسان لا بدّ له من شغل وعمل متواصل ، وأنّ الكاسب حبيب الله ، والساقط من لا عمل له ، ويقضي نهاره وساعاته عاطلا باطلا ، يذرع ويهندس الشوارع والطرق ، أو بين النوم والخلسة ، أو لقاء المقاهي والكازينوهات.

ثمّ الاعمال مختلفة ومتفاوتة ، ولمّـــا كان المقصود بقاء النوع الإنساني ، وحكومة النظام والقانون البشري ، وإنّ الانسان مدني الطبع ، وكلّ واحد يحتاج إلى الآخر ، وأنّ المقاصد مختلفة ، والاحتياجات متعدّدة ، لتعدّد جوانب الحياة وتركّب الانسان من روح وجسد ، واختلاف مقتضياتهما ، وإنّ المجتمع يحتاج إلى طبيب كما يحتاج إلى عالم ديني ، ليكون الأوّل معالج الجسد في أمراضه وأسقامه ، والثاني معالج الروح في صفاتها الذميمة ورذائل الأخلاق وكلاهما يسعيان في سعادة الإنسان ، كما يحتاجان إلى البنّاء والقصّاب والبقّال وغيرهم ، وكذلك هم يحتاجون إليهما ، فكلّ واحد يفتقر إلى شغل الآخر ، وهذه سنّة الحياة وضرورة العيش التي لا يمكن إنكارها ، فإنّها من القضايا التي قياساتها معها ، كما هو واضح.

ثمّ الناس في حِرَفهم وأشغالهم وفنونهم بين مدير وعامل ، وتاجر وصانع ، وربّ عمل ومربوب ، واُستاذ وتلميذ ، وعالم ومتعلّم ، وطبيب ومريض ، فليس الكلّ سواسية ، بل اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الاختلاف في العقول والنفوس والاستعدادات والنشاطات والتقدّم والازدهار ، إلاّ أنّ الطريق مفتوح أمام الجميع على حدّ سواء.

(وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى) [2].

وهو الذي يقرّر مصيره بلا جبر ولا قسر ، بل بيده الاختيار ، وبيده مفتاح التوفيق في الحياة ، وإنّه هو الذي يسعد نفسه ، أو يجعلها من الأشقياء والتعساء.

(إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً) [3].

والتوفيق إنّما هو خير رفيق في حياة الانسان بشرط أن يكون هو من أهل التوفيق ، ويجلب لنفسه التوفيق ، ويفكّر ويدبّر ويعمل بكياسة وسياسة وحنكة وحزم وعزم وصبر حتّى يطوي مدارج التوفيق ، وحتّى يفوق أقرانه ويصعد القمّة بعد جُهد جهيد ، وعمل دؤوب ، ويكون سعيداً في حياته ، كما يُسعد به الآخرون.

هذا وهناك عوامل أساسيّة للتوفيق والتقدّم والسعادة ، وكأ نّها قوانين رياضيّة وحسابات جبريّة غير قابلة لتخلّف ، فإنّ الواحد زائد واحد يساوي إثنان ، وهذا لا يمكن تغيّره وتبدّله ، لأ نّه قانون

رياضي حاكم على الكون كلّه ، وكذلك هناك عوامل في نجاح الانسان في حياته العلمية والعملية ، يفوز وينجح من طبّقها وعمل بها وجعلها نصب عينيه في حياته الفرديّة والاجتماعيّة.

ومقصودنا من هذه المقالة القصيرة أن نذكر أهمّ العوامل التي توجب تقدّم العامل الصانع في عمل ما أو معمل أو دكان في حرفة أو مهنة ، بل في أيّ مجال من مجالات الحياة العمّـاليّة ، كصانع التاجر أو صانع النجّار أو بائع الأحذية أو الذي يشتغل في طبع الكتب أو الصحافة أو ما شابه ذلك ، فإنّ من لم يوفّق في إكمال دراسته أو أراد أن يتّجه إلى عمل من الأعمال لضرورة الحياة وصعوبتها ومشاكلها التي ربما تمنع طالب المدرسة أن يكمل دراسته ، فتسوقه المشاكل وصعوبة العيش إلى أن يدخل في حرفة أو يختار مهنة ، ليزاول صنعة وفنّ وعمل ، فعليه أوّلا أن لا يضجر ولا يكسل ولا ييأس ، بل بإمكانه أن يعوّض دراسته بمهنته الجديدة بعد أن يتفوّق بها ، ويتقدّم وتزدهر حياته العمليّة والصناعية أو التجارية أو ما شابه ذلك ، ولا بدّ لمن أراد النجاح في مهنة وصنعة أن يكون صانعاً أوّلا حتّى يكسب الخبرة والتجربة في تلك الصنعة وفي ذلك العمل ، وهذا أمر طبيعي يعترف به الوجدان ، وكفى به دليلا وشاهداً ، ثمّ إذا أراد أن يسعد في عمله ويتقدّم ويتفوّق ويتوفّق ، فعليه أن يراعي هذه الاصول الأولية والعوامل الأساسية ، وهي عبارة عن النقاط التالية :

١ ــ الاخلاص في العمل (أخلص تنل ــ قالها أمير المؤمنين علي (عليه السلام)) وهذا من أهمّ الاُصول في نجاح الإنسان ، فإنّه إنّما ينال ويصل ويحلّق في آفاق الفلاح والصلاح والنجاح بالإخلاص ، من دون أن يسرق من العمل أو ربّ العمل ، ويستعمل الحيلة والمكر والخديعة والغشّ ويتصوّر ذلك أ نّه من الشطارة والكياسة ، فإنّه بهذا يحفر قبره بنفسه ليسقط فيه ، وإنّ الموت أولى له من الحياة ، وبطن الأرض خير له من ظهرها.

٢ ــ غنى الطبع ، فالعامل الناجح لا بدّ أن يكون غنيّاً في طبعه ، فلا ينظر إلى يد اُستاذه ، ويركض وراء لقمته ، ويطمع في ماله ، فإنّ الطمّــاع لا قيمة له في الحياة ، وهو مهان في المجتمع ، حتّى عند من يشتغل عنده ، والمدير أو صاحب المعمل أو التاجر يمتحن ويختبر العامل ، فإن وجده غنيّ الطبع عزيز النفس ، أمين ، صائن النفس عن الهوى ، فإنّه يكبر بعينه ، ويرتاح إليه ، ويصل الأمر به إلى أن يقلّده مقادير الاُمور ومفاتيح العمل.

٣ ــ الابداع في العمل ، فالعامل الموفّق من يفكّر بإخلاص وغنىً أن يبدع في عمله ويطوّره ، ويفكّر في خدمة اُستاذه ومديره وتقدّمه ونجاحه ، ويرى أنّ نجاحه في نجاح اُستاذه ومن يشتغل عنده.

٤ ــ نسيان النفس ، بعد أن يختار العامل الاُستاذ الجيّد والنظيف والموفّق في عمله وتجارته وصنعته ومعمله ومهنته ، فبعد أن يرى ربّ العمل الصالح والناجح ، فعلى الصانع والعامل أن ينسى نفسه أمامه ، ولا يرى لنفسه وجوداً أمام وجود اُستاذه ، بل كأ نّه يفنى في الاُستاذ ويكون كالعاشق والمعشوق ، يتّحدان روحاً ، ويختلفان جسداً.

٥ ــ الأخلاق الطيّبة في العمل ، وهذا أيضاً من أهمّ العوامل التي توجب الرضا والنجاح في الحياة العلميّة والعمليّة ، فإنّ العامل ذو الأخلاق الطيّبة يجلب الزبائن إلى حانوت اُستاذه وربّ عمله.

٦ ــ شعور الاُستاذ بوجود الصانع ، أي لا يكون وجود الصانع وعدمه بالنسبة إلى اُستاذه واحداً ، فإنّ من كان كذلك فلا خير فيه ، بل لا بدّ للصانع والعامل أن يثبت وجوده وضرورة العمل إليه ، كأن يكون مفتاح العمل بيده ، ولولاه لاختلّت الأعمال ، وتوقّفت ولو برهة من الزمن ، ومن كان يومه أفضل من أمسه فهو الناجح ، ومن ساوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان أمسه أفضل من يومه ، فهو ملعون بعيد عن رحمة ربّه ، والموت خير له من الحياة.

٧ ــ بناء الشخصيّة قبل المال ، يعني على من يريد أن يوفّق في حياته أن يبني شخصيّته أوّلا قبل أن يفكّر بالثروة وجلب المال ، فمن كان له شخصيّة إجتماعية كلّ حسب شأنه ومقامه وظروفه ، فإنّه سيخلص في عمله ، ولا يطمع في مال مديره وربّ عمله ، كما أ نّه يبدع في العمل ، ويحسّس الاُستاذ بوجوده ، ويفوح منه نسيم الأخلاق الطيّبة ، والسجايا الحميدة ، فيأنس به من يجاوره ، ويشمّ عطره وطيبه.

٨ ــ التخطيط في العمل ليلا ليطبّق ذلك في نهار عمله ، فلا تكون تصرّفاته وحركاته وسكناته عفويّة وخلق الساعة ، بل لا بدّ له من الحذاقة واللباقة والتأمّل والتدبّر والتخطيط في الليل على أ نّه كيف يبدع ؟ وكيف يعمل ؟ وكيف يتحدّث ؟ وكيف يتعامل مع فلان وفلان ؟ وهكذا ، وكلّما كبر العمل زاد التخطيط ، وزادت ساعاته كما هو واضح.

٩ ــ الصبر الجميل مع الاُستاذ الناجح ، فإنّ الصانع بعد اختياره ربّ العمل والاُستاذ الناجح ، لا بدّ أن يصبر معه صبراً جميلا ، ويتحمّل ذلّ التعلّم ومسكنة العمّــاليّة ، فلا يتبطّر ولا يغترّ ، فإنّ التبطّر والعجب والغرور من العوامل المهدّمة في تقدّم الإنسان ، بل عليه أن يصبر ولو لسنين وسنين ، حتّى يتعلّم كلّ أطراف العمل وجوانبه وخفاياه وأسراره ، ويتسلّط على الصنعة والمهنة والحرفة كاملا ، ولا يفوته شيء ولو كان صغيراً ، فربّ مسمار صغير يوقف ماكنة جبّارة وكبيرة عن العمل.

١٠ ــ لا ينسى فضل اُستاذه بل يبجّله ويعظّمه ويرجع إليه دائماً ، ويقدّره ويحترمه ، فإنّ بركة العلم في تعظيم الاستاذ.

و (لئن شكرتم لأزيدنّكم) [٤].

ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق [٥].

والحمد لله ربّ العالمين.

١ ــ المراد من الصانع هنا أي العامل الذي يعمل في حانوت أو معمل أو ما شابه ذلك ، فالصانع على اللهجة العراقية ، وقد طبع هذا الموضوع في صحيفة (صوت الكاظمين) ، العدد ؟؟؟ ، سنة ١٤١٩ هـــ.

٢ ــ النجم : ٣٩.

٣ ــ الإنسان : ٣.

٤ ــ إبراهيم : ٧.

٥ ــ حديث نبويّ شريف.